هدايات سورة العادِيات
التَّرتيب والدِّلالات

د. معتوقـــــــة بنت محمَّد حسن الحساني
الأستاذ المساعد في جَامعة أم القُري –قسم الكتاب والسنة
–كلية الدعوة وأصول الدين .

مُـقـدّمَـة

أحمدُ اللهَ –تَعالى –أستَـعينُهُ ،أصلّي وأسلِّمُ على نبيِّهِ –صلَّى الله عَـليْهِ وسلَّمَ –أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحْدَه ،وأشْـهدُ أنَّ مُحمَّداً عبْدُهُ ورَسُولُهُ لا نَبيَّ بـعدهُ ،بـلَّغ رِسالةَ ربِّهِ ،وأدَّي أمانتَه ،ونَصحَ لأمَّـتِه ،وَجَاهد في الله –تَعالي –حقَّ جِـهادهِ حتي أتاه اللهُ اليقينَ ،أرسلهُ بالهُدَى ودِينِ الحقِّ ،وجَعل العَجبَ من قولِ من لم يُصدِّقُهُ فيما جَاء به من مَشهودٍ وغَيبٍ ،فالجَميعُ صِدْقٌ يَجبُ الإيمانُ بهِ

وبَعْد فَإنَّهُ قد شَغَلني ترتِيب سور القرآن وما وراءه من حكَمٍ لا تتَبدَّى إلَّا لذي نظرٍ مدقِّقٍ وسليمٍ ،وقد أعْجَبَني فيما وردَ عنهُ من كُلِّ صَحِيحٍ مُسندٍ ممَّا نُصَّ عليهِ من قبل علمائنا الأثباتِ أهلِ الفهمِ والدِّراية ممَّا لاتختلفُ فيهِ الفُهُومُ أو تنكرهُ. واختَرتُ سورة العاديات لأطبِّق ما جاء من أقوالهم علَيها من حيثُ ترتيبها وما تدُلُّ عليه ألفاظُ آياتِها علي قِصَرِ آياتِها وتقاربِ فواصل تلك الآياتِ .

وأمَّا السَّبَبُ الذي دَفَعَنِي لِلدِّرَاسةِ فما وجدتُهُ من حرصٍ عندي لخدمةِ التَّخصُّص الذي شرفت بالانتسابِ إليهِ ،وأنَّ الخبرَ قد جاء بأنَّ خيرنا من تعلَّم القرآن وعلَّمَه ، وأنَّ سورة العاديات علي سبيل الخصوص متعدِّدة الميزات كثيرة الفَوائد.فعزمتُ أن أجمعَها وأستشهد لَها منْها علي هيئةِ أقباسٍ من السورة يجب أن يتدبَّرها القارئ حتي يقف منها علي الأسرارِ، ولم تَكُن بَعيدَةً عن مبرِّرٍ مشروعٍ مُسْتَساغٍ ،وأمثلتُهُ تندُّ عن التَّناولِ لكثْرَتِها ،ويأتي هذا كما سيتَّضحُ من الدِّراسة الفِعلية ،وَاختلافُ حَالِ المُخَاطبِ بالنَّصِّ سببٌ مُهِمٌّ في إبرازِ مقصود الدِّراسة.وحَتَّى تَأتي الدِّرَاسَةُ محقِّقةً هَدَفَهَا الذي أُعدَّت لهُ ،فقد قسَّمتُها إلي مقدَّمةٍ وتَمْهيدٍ وَمَطالبَ عَشْرةٍ قامت عليها الدِّرَاسةُ ،وَجَاءَت المَطَالبُ العَشْرَةُ علي النَّحوِ الآتي : المطْلَبُ الأوَّل :أسماء سُورة العاديات.المطْلَبُ الثَّاني : تصنيف السورة من حيثُ مكِّيتها أو مدنيَّتها . المطْلَبُ الثَّالث : أسباب نزول سورة العاديات . المطْلَبُ الرَّابع : أهداف سورة العاديات. المطْلَبُ الخَامس : ارتباط سورة العاديات بما قبلها . المطْلَبُ السَّادس: هدايات من سورة العاديات. الأولى :العزيمة والإرادة . الثانية : القوة في الطاعة بكل أنواعها. الثالثة: الاهتمام بالوقت . الرابعة: التفاعل والقيادة وأثرها. المطْلَبُ السَّابع:من معوقات مقومات الحياة. أولا : الجحود وكفران النعمة. ثانيًا : **حبُّ المال.** المطْلَبُ الثَّامن:علاج المعوقات. ثمَّ قسَّمتُ كُلَّ مَطلبٍ مِنْها إلي ما يُعِينُ درسُهُ علي استيعابِ أسَاسِ المَوضُوعِ ، ويُجلِّي عن فِكْرتِهِ ويُوَضِّحُها ،وجَاءَت خَاتمةٌ سَجَّلتُ فيهاَ النتائجَ التي تَوصَّلتُ إليها كما ذيَّلتُها بفهرسٍ لِلمصادِرِ والمَرَاجِعِ التِي أفَدْتُ مِنْهَا في الدِّرَاسةِ ،وفهرسٍ آخرَ للموضوعاتِ التي دُرسَت ؛لتسهيلِ الوصولِ إلي الجزئيَّاتِ التي حَوتها ،وأخيراً فإنَّ دِراستي هذه تمثِّلُ وسْعي ،وهو أحسنُ ما قدرتُ عليه ،وأرْجو أن يكون صَواباً فما قصدتُ إلَّا تَوخِّيهِ ،وما جاء منه فمن اللهِ –تَعالى –وتوفيقِه يمنُّ به علي من يشاءُ من خَلقهِ ويُعْطيهِ ،كَما أرْجو ألَّا يكون خَطأٌ وقعتُ فيه فما قصدتُ إلَّا توقِّيهِ ،وما جاء منه فمنِّي ومن الشَّيطانِ ،وأستغرُ اللَّه بعده وفيهِ كما

أرجو أن يتقبَّلها ربِّي ،ويتجاوز بها عنِّي ،ويغفرَ لي خَطئي إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليهِ ،وآخرُ الدَّعْوى أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

موقع سورة العاديات في ترتيبِ القرآن

العاديات هي السورة المائة حسب ترتيب المصحف التوقيفي أتت بعد سورة الزلزلة ،وقبل سورة القارعة والثَّلاثَة سور مكية بالإجماع ،أما من حيث ترتيب نزولها علي النَّبيِّ –صلَّي اللهُ عليهِ وسلَّم – كما دلَّ التَّاريخ التَّشريعيُّ فتعدُّ الرابعة عشرة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد بناء على أنها مكية نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر(١).وليس يغيب وما ينبغي أن يغيب موضعها بهذا التَّرتيب العجيب الذي لا يحتاجُ إلي إعمالِ فكرٍ ،وإنَّما يقرُّ به كلُّ مؤمنٍ مُصدِّقٍ .

المطلب الأول :أسماء سورة العاديات.

جاء في أقوال العلماء اسمان للسورة يظُنُّهما المتعجِّلُ اسمًا واحدًا :

١–الأول :سورة "العاديات"، قالَ :ابْنُ عَاشُور ،سمّيت في المصاحف القيروانيّة العتيقة والتونسية والمشرقيَّة "سورة العاديات" بدون واو، وكذلك في بعض التّفاسير فهي تسميةٌ لما ذكر فيها دون حكاية لفظه (٢).

٢–الاسم الثاني: سورة "والعاديات" (٣)فأسماء السور جعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة، ولتميز السورة عن غيرها ،وَ أسماء السور إما أن تكون بأوصافها وإما أن تكون لشيءٍ اختُصت بهِ ذكر فيها دون غيرها من السور ،وإما بالإضافة لما كان ذكره فيها أوفى وإما بالإضافة لكلمات تقع فيها.وسُمّيت هذه السورة بالعاديات، لورود ذكرها في مستهلها ، وقد جري العُرفُ على تسمية بعض السور باسم مفتتحها.

المطلب الثاني :تصنيف السورة من حيثُ المَكيُّ و المدنيّ :

ذكرت في مستهلِّ دراستي هذه أن الإجماع منعقدٌ علي اعتبارِ السُّور الثَّلاثة مكية غير أن من الأمانة العلميةِ تقتضي أن أذكرَ أنَّ العلماء قد اختلفوا في مكية السورة ومدنيتها (٤).وأن أكثرهم علي القولِ :إنَّ السورة مكية،(٥)،لأن العرب الذين خوطبوا بهذا حينما أقسم الله –عز وجل– بها كانوا يعرفون الخيل، ويعرفون أثرها ودورها في الحروب، ويشاهدون هذا، وإن لم يكن الجهاد قد فرض ،كما طولبوا أن يقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزكاة ولم تكن فرضت ، وإنما طلبت علي ماكان موجودا معروفاً .ثم إنَّ هذه الخيل التي تعدو في سبيل الله لا يشترط أن يكون ذلك منها في المرحلة المكية، بل كان ذلك قد حصل للأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–وأتباعِهم، فالله يقسم بها وهم يعرفون دورها وأثرها ،كذلك يمكن أن يقال: إن هذا فيه إشارة لما سيكون من أمر الجهاد الذي فرض بعد الهجرة في المدينة، فالله –تبارك وتعالى– أقسم بالخيل العاديات ضبحا، فليس فيه فرض الجهاد، فما المانع أن

يقسم بالخيل فهي هكذا قبل فرض الجهاد، فالقسم بالخيل بهذه المثابة وبهذه الصفة التي هي من أكمل أوصافها لا إشكال ولا حاجة لأن يُلجأ إلى القول بأن السورة مدنية؛ لأنها تحدثت عن الخيل العادية في سبيل الله.ثمَّ إن ما ورد عند جابر بن زيد أنها نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر يؤكِّدُ ترجيح القَول إنَّها سورةٌ مكِّيَّةٌ ،والقسم بإحدى وسائل الجهاد مع تأخر فرضه لا يقوم دليلًا علي القَول بمدنيَّةِ السُّورة أو يغير في ترتيب نزولها خاصة وأن نسق الآيات في السورة يتحقَّق فيه ما جاء من أوصافٍ تُميزُ القُرْآن المَكيِّ عن القُرآن المدنيِّ كما هو معلوم معروف .

المطلب الثالث : أسباب نزول سورة العاديات .

نزلت الآيات والسُّور علي النبيِّ –صلى الله عليه وسلم –بسبب عامٍّ هو الدعوة إلي الله –تعالى – ولم يمنع ذلك أن تكون ملابساتٌ تسبق نزول بعض الآي ليسهل علي الناس أن يعقلوا المراد منها بإعمال الظرف الخاص لفهم التنزيل الذي قد يكون عامًّا ،وهذا هو السبب الخاص الذي كان البعضُ يسوقونهُ باعتبارهِ سببًا لنُزول الآية أو الآيات ، وربَّما يعدونهُ سببا لنزول السورة ،وهذا الكلام تنقصه الدِّقة خاصَّة وأن كثيرا من آي القرآن نزل في أشياء سبقت زمن الدعوة ،فليس يصحُّ أن تكونَ سببًا في نزول المتأخِّر منها .ومن خلال الوقوفِ علي ملابسات نزول السورة "سورة العاديات "يستطيع الواقف علي ذلك أن يقطع بِالقول :إن السورة نزلت في الخيل التي تستخدمُ في الجهاد ،وإن تليت وقت إرسال الرسول –صلى الله عليه وسلم –رسله إلى الأمصار .فقد روي عن مقاتلٍ أنَّه قال :بعث النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم –سرية إلى حي من كنانة ،واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري ،فتأخر خبرهم ،فقال بعضُ المنافقين :قُتلوا جميعاً فأخبر الله –تعالى–عنها فأنزل سبحانهُ وتعالى – مطلع السورة : (وَالعادِياتِ ضَبحاً)يعني تلك الخيل ،وعن ابن عباس –رضي الله عنهما –أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –بعث خيلاً ،فأسهبت شهراً لم يأته منها خبرٌ ،فنزلت :(وَالعادِياتِ ضَبحاً) ضبحت بمناخرها إلى آخر السورة [٦].فبإمعان النظر في آيات السورة يلاحظ واقع المسلمين وحث الآيات الكريمة على الاستعداد لخوض منحنى آخر للدعوة في سبيل الله وتجهيز العدة له والعمل على تغيير ما بالنفس من قعود وحب للدنيا والسعي لما في الآخرة من جزاء باق لانهاية له .

المطلب الرابع :أهداف سورة العاديات.

لم تقتصر آيات هذه السورة علي الحديثِ في شأن الدُّنيا فحسب ،ولا فش شأن الآخرة ،بل أتت السورة الكريمة بمشاهد دنيوية سريعة ،ثم أتت في خاتمتها علي شيءٍ في شأنِ آخر الدنيا الفانية ومآلها ومآل من فيها إلى الخبير ،فَصورت الخيل التي تعد للجهاد ،وتستخدم في دفع الأعداء ،ثم وصفت الإنسان الجحود المنكر الذي ركن إلي الدنيا وشهواتها ،وجعلت نصب عينيه حب المال وجمعه .

ثم جري سياق الآيات ليعطي هذا الإنسان الكنود وصفاتٍ علاجيةً سريعةً ونافعة لما آل إليه حالُه من حب الركون للدنيا وملذاتها وشهواتها خاصة شهوة حب المال ،وذلك يهلكه ويفنيهِ إن لم يكن

له زادٌ وعلاجٌ يتَقوَّى بهما . ثم بيّنت الآيات أن الآخرة لله –تعالى –وأنَّ مردّ الناس جميعاً لرب العالمين –سبحانه وتعالى –الذي سيحاسبهم على أعمالهم في الدنيا ،ولن ينفعهم يومَ لقائهِ إلا التَّقوي والعمل الصالح.فبتدبر هذه السورة الكريمة يستخلص الإنسان أن هدف وجوده في الحياة هو العمل للآخرة ،وأنَّهُ يلزمه أن يتجنب كل ما يؤخره عن العمل لها من أعمال وصفات ،كما أنَّهُ يجب عليه أن يعي معنى اسم الله –تعالى –الخبير ،فَيجد ويجتهد في الدنيا على أساس هذا الاسم العظيم الذي يحمل كثيرا من المعاني التي تغرس القيم في نفس العبد المتدبر الواعي اليقظ(٧).فالإنسانُ ماضٍ في هذه الحياة يعيش فيها ماشاء الله –تعالى –له أن يعيش ، ثمَّ مردُّه إلي رب عليم خبير لا يخدعه قول كذاب ؛لأنّهُ شهيدٌ علي عباده ،ومطَّلعٌ علي قلوبهم ،يعلم سرَّهُم ونجواهُم ،فواجبٌ علي كلِّ إنسانٍ أن يحكم ميزانه في تعاطي محبوباتهِ في الدنيا فلا ينهم منها ليفوزَ بِالنجاة في الآخرة.

المطلب الخامس: ارتباط السورة بما قبلها .

يوقنُ كلُّ من كان له قلب واعٍ ،وفهمٌ ثاقب يتدبرُ معهما القرآن أنَّ سورهُ وما فيها من آيات إن لم تؤخذ ببصيرة ،فإنَّها ستمر على قارئها غير المتأمل مرورًا عابرا ،وأنَّهُ لن ينتفع بها لتعطيله أدوات الفهم عن آيات القرآن الكونية والنفسية . فالمتأمل لآيات الله وسور القرآن الكريمِ يجد ارتباطًا وثيقًا بينها سواء ظهر ذلك مباشرة أم لم يظهر ،وله –سبحانه –حِكمتُهُ البَالِغة في ترتيب هذهِ السور القرآنيَّة بِهذه الشاكلة التي لا يَغيبُ عنها الإعجاز المتمثل في عدم صلاحية غيرِ هذا الترتيبِ في محلِّهِ. فهناك علاقة بين السور ،ينتجُ عنْها تناسبٌ بارزٌ ليس يخفي علي ذي اللُّب المسلم قبلية كانت أم بعدية . وفي الكلام عن مناسبة سورة العاديات وصلتِها بما قبلها يقول البقاعي "لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع، وما ينجر إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، موبخًا من لا يستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الأعمال، معنفًا من أثر دنياه على أخراه، مقسمًا بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر، فمن غلب عليه الروح شكر، ومن غلب عليه الطبع- وهم الأكثر- كفر" (٨)،ولم يخرج المراغي كثيراً عمَّا سبقهُ به البُقاعي ،فعَمَّمَ القولَ بدلَ أن قصرهُ سابقهُ . قَال المراغي "وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها – أنه لما ذكر هناك الجزاء على الخير والشر أتبعه تعنيف الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ولا يستعدون لحياتهم الثانية، بتعويد أنفسهم فعل الخير" (٩).

المطلب السادس : هدايات من سورة العاديات.

خلق الله –تعالى –الخلق لعبادته ولم يخلقهم عبثًا ،وإنما خلقهم للاختبار والابتلاء؛ ليتبين المطيع ممَّن سواهُ، وليتبين المؤمن من الكافر، وليميز الله الخبيث من الطيب قال –تعالى:- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ الذاريات .وأمرنا أن نسير

في الأرض، وأن نضرب في مناكبها باحثين عن مخبآتها وكنوزها، وننال من البركات التي تخرجُ منها ،أو ما يتنزّل من ذلك عليها ،وأن نتعلم العلوم النافعة بحسب ما يتيسر لنا، قال –تعالى:– ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر .وأمرنا التَّشريعُ أن نكد ونكدح في طلب الرزق، قال –تعالى–: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ الملك. فصعودُ الأمم وحضاراتُها تسبقها تغيُّرات جذرية صاحبها الجد والاجتهاد وترك الكسل والنهوض إلى الكسب بكل الصنائع وأنواع الأسباب المشروعة ، فالحياة جهاد وكفاح، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، قال ابن الوردي :

اطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل. (١٠).

يبين الله –تعالى –في كثير من الآيات أن سبب الفشل في الحياة هو ضعف الإرادة ،وقلة العزيمة ،وترقب النَّتائج دون القيام بالمقدمات اللازمة قال –تعالى:– ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ البقرة. فَإرادة القتال لم تقوَ بداخلهم ،والرغبة لم تكن حقيقية في نفوسهم ،فكان انهيار البعض منهم بداية لهذا الأمر، وفي هذا ومثلهِ يقولُ –تعالى :– ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ البقرة .

وما إن تجاوز المجاهدون النهر حتى انكسرت إرادة الجهاد في نفوس البعض منهم خوفاً ورعباً من هول عَدد عدوِّهم وكثرته ،فخارت عزائمهم ،وتهاوت قواهم ، وزلزلت قلوبهم حينما حكموا على الأمور بظواهرها ،هذه بعض المواقف القرآنية تكشف لنا أن أهم مكونات النجاح هي العزيمة والإرادة بمقوماتهما :

الأولى :العزيمة والإرادة .

إن الله أنزل هذا القرآن لتدبره والعمل به ،فقال –تعالى :–﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص، وسورةُ العادياتِ من السور القصيرة التي تتكرر على أسماعنا كثيرًا، ويتأكدُ فهمُ معناها وما تضمنته من الحكم العظيمة، و قد نأخذ منحىً آخرَ من وراء تدبر

كتاب الله في معاني هذه السورة العظيمة التي ألمحت إلي صفات الخيل ،وأشارت إليها ،وتحتَّم وجودها في من أراد النهوض لأمرٍ عظيمٍ ،ولا أعظم من الجهاد في سبيل الله قال –تعالى :– ﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ ﴾ .فهذه الخيل المسرعاتُ في سيرها ،تعدو ،وهي تحمحم(١١) ،لتكسب نهاية المعركة ، الحياة معركة بين الخير والشر فالفالح من كسب فيها خيرا يعده لآخرته.

فلنكن في طاعة الخالق مسرعين فالمؤمن ينبغي عليه أن يُسارِع في الخيرات، و الطاعات، ويتسابق إليها، وهذا مادلت عليه الآيتان في سورة آل عمران قال تعالى:– ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ ، وقال تعالى عن نبيِّه موسى – عليه السَّلام ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ ﴾ طه ، وقال تعالى عن نبيِّ الله زكريا :﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ الأنبياء

وكان –صلَّى الله عليه وسلَّم –يحثّ أمَّته على المسارعة إلى الأعمال الصالحة " بادِرُوا بالأعمال فِتَنًا كقطع الليل المظلم؛ يُصبِح الرجل مؤمنًا ويُمسِي كافرًا، أو يُمسِي مؤمنًا ويُصبِح كافرًا، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا"(١٢) فالحديث يعطي لنا معنى وهو المبادرة والمسارعة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر (١٣) هذه صورة لمقوم واحدٍ من مقومات النجاح في الحياة الدنيا النجاح الدنيوي الحقيقي الذي يبتغيه المؤمن الحق حتى يلقى وجه الله وهو راض عنه .وروي أن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم –قال: "التُّؤَدة في كلِّ شيء، إلا في عمل الآخرة "(١٤) ،وقد كان الصحابة –رضِي الله عنهم– يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم فيتسابقون ويسارعون إلى الأعمال الصالحة، ويتنافَسون في أعمال الآخرة، كما أرشدت إليه الآية في قوله –تعالى :– ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾ المطففين . يقول ابن القيم :" إنَّ المقبل على الله المطيع له، يسير بجملة أعماله، وكلما زادت طاعاته وأعماله، ازداد كسبه بها وعظم، وهو بمنزلة من سافر فكسب عشرة أضعاف رأس ماله، فسافر ثانيًا برأس ماله الأول وكسبه، فكسب عشرة أضعافه أيضًا، فسافر ثالثًا أيضا بهذا المال كله، وكان ربحه كذلك، وهلم جرًّا، فإذا فتر عن السفر في آخر أمره، مرة واحدة، فاته من الربح بقدر جميع ما ربح أو أكثر منه"(١٥) والسابقون هم المُبادِرون إلى فعْل الخيرات في الدنيا، والسابقون إلى الجنات في الآخرة ،فإن السبق هناك على قدْر السبق في الدنيا، والجزاء من جنس العمل؛ قال تعالى:﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ الرحمن ،**وقال –تعالى**:–﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ

ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر .قال ابن كثير في تفسير قوله –تعالي :– ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبَّات، التارك للمحرَّمات والمكروهات، وبعض المُباحات".

الثانية : القوة في الطاعة بكل أنواعها.

قال تعالى :﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ ﴾ ،تقدح الخيل بحوافرها الحجارة عندما تغير وما كان القدح إلا بعد قوة وصلابة ضرب حوافرها بالحجارة فأشعلت به نارا لإرادة الجهاد في سبيل الله تعالى(١٦) ،فمجاهدة النفس وإخضاعها للسير على صراط الله المستقيم، وكبح جماحها من أن تشذ عن طاعته تحتاج لقوة ومجالات هذه المجاهدة تأتي من خلال تقوية صلة هذه النفس بخالقها وإلهها ،ومحاسبتها ومخالفتها، ومن أعظم ما يعين العبد على مجاهدة نفسه، علمه بأدوائها، وبأعوانها على الشر، وعلمه بما يعالج به تلك الأدواء ويدفع بقوة تلك الأعوان من الكتاب والسنة ،وما فيهما من الهدي ،ونور الوحيفقوة الإيمان بالله ،والعلم به ،والطاعة له، وقوة الرأي والنفس والإرادة ،إذا استعملت فيما يحبُّه الله تعالى و يرضاه من الأعمال والطاعات ،تكون سبباً في الفلاح والنجاح. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم :– "الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ،وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"(١٧) . فالمؤمن القوي في إيمانه، والقوي في بدنه وعمله خير من المؤمن الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله، لأنَّ المؤمن القوي ينتج ويعمل وينتفع بقوته البدنية وبقوته الإيمانية وبقوته العملية المسلمين فينتفعون من ذلك نفعًا عظيمًا لتحقيق مصالح المسلمين، وفي الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وإذلال الأعداء والوقوف في وجوههم، وهذا ما لا يملكه المؤمن الضعيف، فمن هذا الوجه كان المؤمن القوي خيرًا من المؤمن الضعيف فهذا الحديث فيه الحث على القوة، ودين الإسلام هو دين القوة ودين العزة ودين الرفعة قال –تعالى:– ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال، وقال تعالى :﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المنافقون .

فالقوة مطلوبة في الإسلام: القوة في الإيمان والعقيدة، والقوة في العمل، والقوة في الأبدان؛ لأن هذا يقتضي خيرًا من هذا المنطلق فإن القوة هي قوة العقيدة والخلق، القوة في العبادة والسلوك والجسم والعلم والصِناعة والتجارة ،وتلك القوة التي تتجه بجهد الإنسان إلى الخير وتقوده إلى

الرحمة، وتجعل منه أداة يحق الله بها الحق ويبطِل الباطِل ،فأعلى أنواع القوة قوة العقيدة وقوة رسوخ الإيمان، فصاحب العقيدة القوية يؤمن بالله ويتوكل عليه، وتأتيك قوة أنه لا يستطيع إنسانٌ كائناً من كان أن يمنعك من رزق كتبه الله لك، ولا أن يعطيك مالم يكتبه الله لك، بهذا ينقطع حبل اللجوء إلى غير الله ،ويصل ويقوى بحبل الله المتين، فهو المعطي المانع والرزَّاق ذو القوة المتين ،فبقوة العقيدة والإيمان جعل الله لرسوله من الضعف قوة، ومنَ القلة كثرة، ومن الفقر غنىً، قال تعالى :﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ الضحى .

والقوة في العبادة تكون بالمحافظة عليها وتأديتها بالصفة المخصوصة ،والقوة في الأخلاق، وثباتها ،فلقد فتح الأوائل من المسلمين الأمصار بقوتِها دون تجهيز جيوش ،فزلزلوا بها العروش ،ويكفينا فخرا قوة العدل الذي ساد الأرجاء في الشدة والحزن مع الصديق والعدو والغني والفقير﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة. والقوة يتمثَّلُ أعلاها في ضبط النفس ،قال –صلى الله عليه وسلم :–"ليس الشّديدُ بالصُّرعَة، إنما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (١٨) ،فكَظمُ الغَيظِ قُوّة، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران كذلك اعتبرت الشَّريعة تحصيل القوة البدنية من مقاصدها ،وقد اختار الله قائدا ربانيا لبسطة جسمه وعلمه ،قال –تعالى:– ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة . فمن عقل هذه القوة وعمل بها نهض ،وأنهض الأمة لتتصدر المجالات كلِّها ؛ فتكون خلافة الله في الأرض ،وتكون القوة في العبادة وفي العمل وفي التجارة والزراعة والصناعة ،وينتبه الغافل عن نصوص كتاب الله وسنة رسوله ويرجع المتعسف في تأويله ووصفه للأمة أنها أمة تخلف وتأخر وجهل ،ولن تتجلى قوة المسلم إلا في أخذ أوامر الله بقوة وعدم التَّقصير فيها قال تعالى حكاية عن موسى :﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأعراف .وذكر الله بني إسرائيل على لسان نبيِّنا بما أخذ عليهم قال –تعالى:– ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ البقرة . فهذه القوة تُحمل على كل

مناحي الحياة تؤخذ فيعمل العبد فيما يحقق به مصالحه ومصالح أمته من غير تكاسل ولا تراخ ،وحتى لا نكون فتنة بضعفنا وهواننا وتتداعى الأمم علينا.

الثالثة: الاهتمام بالوقت .

قال تعالى﴿ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ ﴾ ورد في تفسيرها أن المراد هو الدفع والإغارة صباحا(١٩) ،وهذا دلالة وإشارة على التبكير بالأعمال والاهتمام بالوقت، إذا أدرك العبد قيمة وقته وأهميته، كان أكثر حرصاً على حفظه واغتنامه فيما يقربه من ربه، وقد جاءت السنة لتؤكد على أهمية الوقت وقيمة الزمن، وتقرر أن الإنسان مسئولٌ عنه يوم القيامة، فعن معاذ بن جبل أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم :–" لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل فيه ،وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه "(٢٠).فينبغي للعبد أن يحرص على وقته فيما ينفعه في دينه ودنياه، وما يعود عليه بالخير ولقد كان سلفنا الصالح حريصين على أوقاتهم فيغتنمونها ،ويتزودون منها بعلم نافع ،أو عمل صالح أو مجاهدة للنفس ،أو إسداء نفع إلى الغير، فالوقت حياتنا على هذه الأرض لكي نقدم فيها ما يوصلنا إلى الغاية التي لأجلها خلقنا ،قال صلى الله عليه وسلم:– "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس :الصحة والفراغ" (٢١) ، فينبغي العناية بالوقت وملئه بالعمل ،فالفراغ داع إلى الفساد ،والنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية ،وقد أشار كتاب الله في مواطن كثيرة إلي أهمية الوقت وبألفاظ مختلفة ،منها الدهر والحين والآن والأجل والأمد والسرمد والعصر وغيرها وأقسم سبحانه بالوقت في مواطن كثيرة من كتابه العزيز قال –تعالى:–﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ ﴾ العصر. وارتبطت العبادات بمواعيد وأوقات محددة مما يرفع من أهمية الوقت في حياتنا قال –تعالى:–﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾ النساء وارتبط التقويم الإسلامي بالأشهر القمرية والتي تبدأ من ظهور الهلال إلى أن تنتهي باختفائه ليعلن ميلاد شهر جديد ،ويُعرف من خلالها مواعيد الصلاة والصيام والإفطار والحج وهي مواقيت دقيقة يستعين بها العبد قال –تعالى :–﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩ ﴾ .البقرة" ؛ لذا كان من الأهمية بمكان، أن يبين –تعالى– أن الحياة ما كانت وما عبثا فقال:– ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ ﴾ فطول الأمل والجهل بقيمة الوقت وضعف الإرادة أمور تحول دون العمارة الذي أمر العزيز الكريم بها ،فالعاقل من ندم اليوم حيث ينفعه الندم ،واستقبل

لحظات عمره ،فعمرها قبل أن يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه الندم ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ الزمر.

الرابعة: التفاعل مع القيادة وأثرها.

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ ﴾ورد في تفسير الآيتين ما يأتي :أثارت الخيول الغبار وتوسطن المكان(٢٢) ،وما كان هذا إلا باجتماعها وتوحد عملها فأنتج هذا الغبار أثرهُ على العدو. وقد أشارت الآيتان إلى أن المراد إظهار قيمة التفاعل والعمل على سياق واحد ووتيرة واحدة يحقق مالا يحقق الفرد فالتفاعل هو الأساس في قيام نوعٍ من المؤثرات والاستجابات ينتج عنها تغيير في المجتمع بتحقيق أهدافه بتنظيم علاقاته والعمل على وحدة الهدف ويتجلى بهذا التفاعل بروز القيادات الفاعلة والمهارات الفردية وتقارب الأفراد المتفاعلين . ففي عصر النبوة قام المجتمع المسلم بالتفاعل بين القائد واتباعه–محمد صلى الله عليه وسلم– وأصحابه كمجموعة أشربوا الأفراد صغارا وكبارا قيم ومثل ومبادئ أعلوا بها المجتمع ورفعوا ذكره ،فاجتمعت القلوب وتآلفت وتفاعلت على قلب رجلٍ واحد هو محمد –صلى الله عليه وسلم –فكان الإيمان به مدعاة للائتلاف والانتصار ،وظهرت الصور والنماذج والوقائع المضيئة الناطقة للمجتمع المتآلف المتحاب تحت ظلِّ رسالة الإسلام والقيادة المحمدية. من صور التفاعل الكثيرة على سبيل المثال: بناء المسجد ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ التوبة ،كان أول عمل قام به -صلى الله عليه وسلم -في الإصلاح والتأسيس اشترك المسلمون جميعا في البناء وعلى رأسهم إمامهم محمد -صلى الله عليه وسلم- وكان أول عمل تعاوني تفاعلي عام وحد وقارب وتحابت قلوب الفرقاء وصارت الفرقة وحدة.ثم كانت صورة التفاعل الأخرى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليشد من أواصر المجتمع ويقوم عليه بنيانه قال تعالى:- ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال، يقول الطبري: "وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرق والتشتت، على دينه الحق، فصيَّرهم به جميعًا بعد أن كانوا أشتاتًا، وإخوانًا بعد أن كانوا أعداء،(لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم)، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لو أنفقت، يا محمد، ما في الأرض جميعا من ذهب ووَرِق وعَرَض، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيْلك ،ولكن الله جمعها على الهدى فالتفت واجتمعت، تقوية من الله لك وتأييدًا منه ومعونة على عدوك. يقول: والذي فعل ذلك وسبَّبه لك حتى صاروا لك أعوانًا وأنصارًا ويدًا واحدة على من بغاك بسوءٍ هو الذي إن رام عدوٌّ منك مرامًا يكفيك كيده وينصرك عليه، فثق به وامض لأمره وتوكل عليه (٢٣)."كان ذلك بحق النموذج الرائع لتطبيق الأخوة بين أفراد الأمة بشكل عملي، وهو أمر لم يتحقق للناس ولن يتحقق إلا في ظل الإسلام؛ وقد أدرك -صلى الله عليه وسلم -أهمية التفاعل فبنى مجتمعا ناجحا معطاء قويا ،فَحقق رسالته التي أرسله الله بها فكان قائدًا أيقظ وغرس في نفوس أصحابه حب الإيمان ؛ليعملوا لدنياهم وآخرتهم ،وعلمهم كيف يكون التوازُن بين هذه المقومات ،لتصبغ الحياة بطابع الوسطية والاستمرار ،ففشلُ الأنظمة الأخرى ،ما كان إلا لصعود مقوم على مقوم آخر فطغى عليه، فالإسلام المنهج المرتضى للخلق يَحمل في تعاليمه مُقوِّمات الحياة الكريمة .

المطلب السابع :من معوقات مقومات الحياة.

أولا :الجحود وكفران النعمة .

الجحود والنّكران أحد أهم المُعيقات التي تعيق بل تعطل مقومات الحياة كما نري في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ العاديات. "فقد طبع الإنسان على كفران النعمة ،قال ابن عبا : لكنود لكفور جحود لنعم الله ،وكذلك قال الحسن وقال :يذكر المصائب وينسى النعم .[٢٤] ، وقال ابن كثير:" ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله "[٢٥]إن العبد ليجحد نعمة ربه ، وينكر جزيل فضله ،ويتمثل كنوده وجحوده في مظاهر شتى تبدو منه أفعالاً وأقوالاً ، فتقوم عليه مقام الشاهد الذي يقرر هذه الحقيقة ،أو كأنه يشهد على نفسه بها ،أو لعله يشهد على نفسه يوم القيامة بذلك ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ يوم ينطق بالحق على نفسه فلا جدال . وهنا تعظم المصيبة حينما تقابل النعم بنوع من الإنكار الذي تتنوع صوره، وأشكاله.، فشكر النعم حافظ للنعم وجالب للنعم المفقودة ، فإن النعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت قال تعالى :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم ،ولقد حذر تبارك وتعالى في مواطن من كتابه من تبديل النعمة كفرا وعدم استعمالها في طاعة المنعم ،وملاقاتها بالأشر والبطر وجحود الإنعام والإكرام ؛ قال الله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾ البقرة، وقال –تعالى:-﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ إبراهيم.وقال ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ أي من نعمةٍ وفضلٍ وإحسانٍ ﴿ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ بالفسوق وكفران النعم والعصيان، وقد ذكرت الآيات أخبارَ أقوام أهلكهم الله وأمم عذبهم الله بسبب كفران النعم ،والأمثلة عديدة لحال هؤلاء ليعتبر من أراد الاعتبار ويتعظ من أراد الاتعاظ قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ القصص، قال –تعالى:-﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ النحل. فمنهج الله – تعالى –في كتابه الحرص أن تكون هناك لوازم لرفع عوائق مقومات الحياة فكان الشكر من أول هذه اللوازم ،فالثناء على من يقدم الخير والإحسان جميل ،وأجل من يستحق الشكر والثناء رب العالمين ؛لما له من عظيم النعم والمنن على عباده في الدِّين والدنيا ،قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى

وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ البقرة ،قال الشيخ عبد الرحمن السعدي :"الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولاً ،واعترافاً ،وبذلك يتم التوحيد ،فمن أنكر نعَمهُ بقلبه أو لسانه فذلك كافر ،ليس معه من الدين شيء"(٢٦).

ثانيًا : **حبُّ المال.**

لقد عمت غالب الخلق حتى فتِنوا به، وصارت غاية قصدهم لها يطلبون ، وبها يرضون ،ومن أجلها يغضبون ،وبسببها يوالون ،ويعادون قطعت أرحام في سبيلها ،وسفكت دماء أمم بسببها ،ووقعت فواحش من أجلها ،فحلَّت البغضاء وفُرِّق بين الإخوان ،وتعادى الأصحاب والخلان، قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٞ ﴿٨﴾ ﴾ العاديات .وبيَّن –صلى الله عليه وسلم –هذا المصير لحالنا المؤلم في قوله:" كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم ؟أي قوم أنتم؟، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : نقول كما أمرنا الله. قال » : أو غير ذلك؟ تتنافسون ،ثم تتحاسدون ،ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ،ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين ،فتجعلون بعضهم على رقاب بعض (٢٧).وهذا ماستشرفه عمر –رضي الله عنه– فقد أورد ابن حجر أنَّهُ –رضي الله عنه أُتي بمال من المشرق يقال له نفل كسرى ،فأمر به فصب وغطي ،ثم دعا الناس فاجتمعوا ،ثم أمر به فكشف عنه ،فإذا حُلي كثير وجوهر ومتاع ،فبكى ،وحمد الله عز وجل ،فقالوا له :ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟! هذه غنائم غنمها الله لنا ونزعها من أهلها ،فقال" ما فُتِح من هذا على قوم إلا سفكوا دماءهم واستحلوا حرمتهم "(٢٨).فالعبد إذا لم يستغن بالله، فلن يغنيه نعيم الدنيا وإن حازه بل يشعر بأن الفقر ملازمًا له كما روي في الأثر" :من كانت الدنيا همه فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه، جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة"(٢٩) ،جُبلت النفوس على حب المال، قال تعالى:﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ الفجر .وروي أنَّ النَّبيَّ –صلى الله عليه وسلم –قال فيما صحت روايتهُ عنهُ : "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب "[٣٠].وقد حذَّر –صلى الله عليه وسلم –أمتَّه من فتنة المال و وحبهِ روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: "فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم"[٣١] . وجاء ذم عبد المال الذي إذا أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، قال تعالى:﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾التوبة وهذا المال إن لم يستخدمه صاحبه في طاعة الله وينفقه في سبيله، كان وبالاً وحسرة عليه، قال تعالى :﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ التوبة، وقال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ، إن المال عرض زائل ومتاع مفارق، قال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحديد .يعتقد البعض ويظن أن من رزق مالا كثيرا، فإنه قد وفق، وهو دليل على محبة الله له والأمر ليس كذلك، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾.فإن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب قال تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾المؤمنون .

المطلب الثامن: علاج المعوقات.

العبد شديد الحب لماله ، هذه فطرته ، وهذا طبعه ، ما لم يرسخ الإيمان قلبه ، فيغير من تصوراته وقيمة وموازينه ومبادئه ،ويجعل مكان كنوده وجحوده اعترافاً بفضل الله ،وينسخ ويمحو شحَّه وبخله عطاء ورحمة . وتتجلى أمامه القيم التي تستحق الحرص والتنافس عليها . وهي قيم أعلى من المال والسلطة وأعراض الحياة الدنيا .فالعبد بغير إيمان ضعيفٌ أمام المطامع ،سجين أهوائه وشهواته لن يرفعه عن ذلك إلا الاتصال بالخالق الذي إليه المرجع والمصير وتسمو روحه إلى العلياء لينطلق بتحطيم قيد نفسه من حب الشهوات فعندما تعرض له الآخرة ومشاهدها في صورة حسية ينتبه ويستيقظ من غفلته .قال –تعالى:-﴿ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ بعثرت المتاع وجعل أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها مشهد قوي يجمع بين احصاء واظهار ما في النفوس من ضمائر وأخلاق وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم (٣٢) .إن الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان وجعله محل الابتلاء، فطبعه على بعض الصفات الذميمة، وكلفه بالمجاهدة على التخلص منها وتهذيب نفسه من أواصرها، قال تعالى:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس.فنعمة المال عظيمة وهي زينة للحياة الدنيا قال –تعالى:-﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ الكهف. وهي من الفتن العظيمة التي يُبتلى بها المؤمن، والقليل من الناس من يصبر عليها، قال تعالى :﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ ﴾ التغابن. فالمطلوب أن تكون الدنيا في اليد لا في القلب ، وأن نملكها لا أن تملكنا ونطلب الآخرة بالدنيا لا أن نطلب الدنيا بالآخرة .فمشهد البعث والحشر جاء في صورة تنسي حب المال ،وتوقظ الغافل من بطره وغطرسته وترده إلى المنهج السوي والصراط المستقيم ،فالتذكير الدائم بالآخرة من أنجع الوسائل في الرجوع إلى الله ،ومعالجة النفس من كل داء ،فلا تكاد سورة من سور القرآن تخلو من

ذكر الآخرة والحساب والعرض ؛لتنجلي الغفلة عن ما خلقنا لأجله الإقبال على الله تعالى بطاعته ،ومحبته، والانقياد لأمره، والعمل بما يرضيه، والحرص على كل ما يقربنا إليه، هي الحياة التي اشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال.وتذكر هذه المشاهد بصورة مستمرة يرفع عن الإنسان حجاب الغفلة عن الآخرة وهو المبضع الذي يستأصل حب المال المسيطر على قلب العبد.وفي قوله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾ ﴾ الخبير، الذى لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ولا تتحرك حركة إلا يعلم مستقرَّها ومستودعها.الخبير سبحانه بكنه الأمور، المطلع على دقائق الأمور الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها(٣٣) ،فلا يخفى عليه شيء من الأشياء ،يعلم ويجازي أوفر الجزاء في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة.

فالدنيا بما تحتويها من فتن ومال وشهوات عائق من المعوقات التي تعوق العبد عن فعل الصالحات والطاعات، فالمال والحرص عليه، وعلى جمعه وتحصيله يمنع الإنسان عن فعل كثير من الطاعات من إنفاق وصدقة، فحب المال خاصة يعوق عن الطاعات غالبا فهو رأس الفتنة، وباب كل شر، إذا كان هم العبد جمع المال والعمل للدنيا وحدها ،قال تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران.

إن المنهج الرباني لايمنع الإنسان من حب الشهوات ولكن لاتكن هي الشغل الشاغل بل أمرنا تعالى بالاستخلاف في الأرض والسعي فيها لخدمة بكل ما يخدم البشرية جمعاء ، فالمقصود أن نجعل الدنيا مزرعة تحصد ثمارها في الآخرة، يصرف الدنيا في طاعة الله تعالى، والعمل الصالح، وعمارتها حسب ما أمر الحق تبارك وتعالى من الاستخلاف فيها، بما ينفع الدين والدنيا. فال تعالى :﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ الكهف ،فالطاعات هي الباقيةُ ، و النفع الحقيقي، وما عداه من متاع الدنيا وزينتها زائل لا نفع فيه.ويكفينا في ذم الدنيا وحب متاعها أنها سبب من أسباب الغفلة والتثاقل إلى الأرض، ونسيان اليوم الآخر قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ التوبة ولا شك أن التنازل عن متاع الدنيا وملذاتها طاعة لله والتزاما بأمره يعوض عنه في الآخرة متاعا أعلى وأخلد وأبقى، في جنة عرضها السموات والأرض، فهي المتاع الحقيقي، الذي ينبغي على العاقل الحرص عليه قال تعالى:﴿

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ فاطر ؛ لذا وصف القرآن الكريم الحياة الدنيا في أكثر من آية وموضع أنها متاع الغرور وطريق إلى الشهوات قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ آل عمران ،وأبان القرآن موقف الناس بأنهم يفرحون بها، مع أن حقيقتها لا تستدعي ،كونها مجرد متاع يفنى ويبلى ،قال –تعالى:- ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ الرعد.وحذر عباده من اللهث وراء مفاتن الدنيا الزائفة، والانكباب على زخارفها الفانية، يقول سبحانه ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ هود والمراد أن من كان طالباً لمنافع الحياة ولاهثاً وراء زينتها، فإن الله يُمد له فيهِ ،ويعطيه منه استدراجاً ،ثم تكون عاقبته الخسران في الآخرة.ويحذر القرآن الناس عموماً، والمؤمنين خصوصاً من مغبات الحياة الدنيا وشهواتها ويذم ويُشنع على من يؤثر الدنيا الفانية وشهواتها ،على الآخرة الباقية الخالدة، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ يونس ويخبر سبحانه عن مصير الطغاة الذين آثروا الحياة الدنيا عن الآخرة فيقول:﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ النازعات.فالدُّنيا مقرٌّ مؤقتٌ للعمل ودارٌ للابتلاء لتمييز الصالح من الطالح ،والمصلح من المفسد قال تعالى:﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ الملك ،فالتذكير الدائم بالآخرة من أنجع الوسائل في الرجوع إلى الله ،ومعالجة النفس من أدوائها التي تثقلها عن وظيفتها .

خاتمـــــة

الحمدُ لله الَّذي بنعمتهِ تتمُّ الطَّيِّباتُ ،والصَّلاةُ والسَّلامُ علي منْ خُتِمَت بهِ النُّبُوَّاتُ وأشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحْدهُ لاشريكَ لهُ ،يَهدي للخَيرِ ويُعينُ عليهِ ،وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورَسولُهُ ،وخِيرتُهُ من خَلقِهِ وحَبيبُهُ ،بلَّغَ وأدَّى ونَصَح وجَاهدَ في اللهِ حقَّ جهادهِ صلَّى اللَّه وسلَّم عليهِ ،وعلي آله وصحبهِ ،ومنِ اتَّبعَ هَدْيَهُ ،واسْتنَّ بسنَّتهِ .وبعدُ فقد صَحِبتُ دِراسةَ التفسير زمَناً ،وحاولْتُ أن أقف علي أنواع التَّفسير ، ومدارسه المختلفة ،وقد بَان لي أنَّ كثيراً منْهَا وضْعيَّةٌ اجْتِهاديَّةٌ ،وليست كلها تَوقيفيَّةً دلَّ علي ذلكَ إكثارُ بعضٍ من الأقْوال ،وإقلالُ بعضٍ من ذلك.اختلف العلماء في اسم سورة العاديات وأنَّه جاء بواو القسم في أوله ،وعري عنها في قول بعضهم . مع إجماع العلماء في قولهم بمكية سورة العاديات لم نجد قطعا عندهم في شأن تعدد مرات النزول ،وهل قراءة ما نزل من القرآن في ظرف مستجد يطلق عليه سبب نزول لما قرأ أم لا ؟لكلِّ نص شرعي هدف ومقصود يقف عنده بعض

ويغيب ذلك عن بعض ،وقد كان لهذه السورة العظيمة هدفها ومقصودها الذي سجلته الدراسة وأبرزته .يمكن للباحث وغيره إذا دقَّق أحدهم في قراءة السورة ليقف علي ما فيها من هدايات أن يرتب تلك الهدايات بحسب أهميتها وأثرها إلي هذهِ الأربعة العزيمة والإرادة ،ثمَّ القوة في الطاعة بكل أنواعها ،ثمَّ الاهتمام بالوقت ،ثمَّ التفاعل والقيادة وأثرها. ويعيق النفس ويبعدها عن تحقيق ما يناط بها من أعمالٍ الجحود وكفران النعمة وحبُّ المال ،وإن جاء المنهج التشريعيُّ بما ينهي هذه المُعيقات .

وكَتبهُ

د. معتوقة بنت محمدحسن الحساني

الأستاذ المساعد –قسم الكتاب والسنة –كلية الدعوة وأصول الدين .

المصادر والمراجع

- أحكام أهل الذِّمَّة

لابن قيم –تحقيق طه عبد الرؤوف– الكتب العلمية --بيروت – ط٢ ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م .

- أسباب النزول للواحدي

عميرات –الكتب العلمية–بيروت –لبنان –ط:١–١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

- الأشْباه والنَّظائر

لتاج الدين السبكي ت: ٧٧١هـ دار الكتب العلمية – ط :١– ١٤١١هـ– ١٩٩١م .

- الأشْباه والنَّظائر

لجلال الدين السيوطي ت : ٩١١هـ – دار الكتب العلمية – الطبعة:١– ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

- الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ

لابن نجيم –تَحشية : عميرات –الكتب العلمية–بيروت –لبنان –ط:١–١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

- البرهان في أصول الفقه

للجويني – الوفاء – المنصورة – مصر – الطبعة:٤ ، ١٤١٨ – تحقيق : د. عبد العظيم الديب .

- التبصرة

للَّخمي –تحقيق :الدكتور أحمد نجيب – وزارة الأوقاف – قطر – ط:١– ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .

- جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود

للسُّيوطي –تحقيق :مسعد السعدني –الكتب العلمية –بيروت –لبنان –ط :١– ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م

- سبل السلام

للصنعاني ت: ١١٨٢هـ – دار الحديث– د .ت أو ط .

- الشُّبهات وأثرها في العقوبة الجنائية .

لمنصور الحفناوي – مطبعة الأمانة–الطبعة:الأولى١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

- شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة
للتنوخي ت:٨٣٧هـ –تحقيق –أحمد المزيدي –ط–١ –١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م –دار الكتب العلمية.
- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة .
لابن شاس –تحقيق د . حميد لحمر –ط –١ –١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣ م –طبعة دار الغرب الإسلامي .
- عمدة الرعاية بتحشية شرح الوقاية
للكنوي – المحقق: الدكتور صلاح أبو الحاج – مركز العلماء –الطبعة الأولى –بدون تاريخ.
- فتاوى السبكي
لأبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ت: ٧٥٦هـ – دار المعارف.
- فتح القدير
لابن الهُمام ت : ٨٦١هـ – دار الفكر –بيرُوت – بدون طبعة ،وبدون تاريخ .
- الفُروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق
للقرافي – تحقيق– خليل المنصور – دار الكتب العلمية – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م – بيروت .
- فصول البَدائع في أصول الشرائع
للفَنَري –المحقق: محمد إسماعيل – دار الكتب العلمية– لبنان – ط: ١، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ.
- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ
د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ – دار الفكر – سوريَّة – دمشق – الطبعة الخامسة – ١٩٩٩م .
- الفَواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني
لشهاب الدين النفراوي ت : ١١٢٦هـ – دار الفكر – بدون طبعة – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير
لزين الدين المناوي ت: ١٠٣١هـ –المكتبة التجارية الكبرى – مصر– ط الأولى، ١٣٥٦.
- قواطع الأدلة في الأصول
للسمعاني – المحقق: محمد حسن – دار الكتب – بيروت–لبنان –ط:١– ١٤١٨هـ/١٩٩٩م .
- القواعد في الفقه الإسلامي
لابن رجب –المحقق :طه عبد الرؤوف –مكتبة الكليات الأزهرية – ط:١– ١٣٩١هـ –١٩٧١م .
- الكافي في فقه الإمام أحمد
لابن قدامة المقدسي ت: ٦٢٠هـ – دار الكتب العلمية – الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
المنثور في القواعد
للزَّركشي – وزارة الأوقاف– الكويت – ط:٢ – ١٤٠٥هـ –تحقيق :د. تيسير فائق أحمد محمود.
- منح الجليل شرح مختصر خليل

لمحمد عليش المالكي ت : ١٢٩٩هـ - دار الفكر - بيروت - بدون طبعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

- الموافقات

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت : ٧٩٠هـ - المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن عفان - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي .
- مُوْسُوعَة القَواعِدُ الفِقْهِيَّة

لمحمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي - مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

هوامش البحث

(١)انظر: الزمخشري ، الكشاف: ٤١٧/٦،ومحمد الكلبي ، التسهيل: ٥٠٥/٢،وابن عاشور، التحرير والتنوير: ٤٩٧/٣٠،والمخللاتي ،القول الوجيز: ٣٥٤.

(٢)انظر: الفراء ، معاني القرآن:٢٨٤/٣،وأبو عبيدة ،مجاز القرآن:٣٠٧/٢،والتحرير والتنوير:٤٧٩/٣٠ .

(٣)انظر:الصنعاني، تفسير عبد الرزاق الصنعاني،٣٩٠/٢،والطبري، جامع البيان:٥٧٠/٢٤،والزجاج، معاني القرآن:٣٥٣/٥

(٤)انظر :الداني ، البيان: ٢٨٤،و عطية الأندلسي ،المحرر الوجيز٦٧٢/٣٠ .

(٥)انظر :معاني القرآن٣٥٣/٥،والناسخ والمنسوخ، ٦٧،الثعلبي، الكشف والبيان ٢٦٨/١٠.

(٦)انظر :الواحدي ،أسباب النزول،٢١٩.

(٧)انظر:جعفر شرف الدين ،تحقيق عبد العزيز التويجري، الموسوعة القرآنية ، خصائص السور،(١٠٩/١٢).

(٨)انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(٢١٠/٢٢-٢١١).

(٩)انظر :تفسير المراغي،(٢٢١/٣٠).

(١٠)عمر بن مظفر بن أبي الفوارس بن الوردي، من أئمة القرن السابع والثامن هجريا (٦٨٩هـ) ت (٧٤٩هـ)،الزركلي ،الأعلام.

(١١)انظر :ابن جرير الطبري جامع البيان في تفسير آي القرآن ،٥٥٤/٢٤.

(١٢)الحديث صحيحٌ أخرجه مسلم ،كتاب الإيمان ،باب الحث على المبادرة قبل تظاهر الفتن.٣٠١برقم ١١٨.

(١٣)انظر: شرح صحيح مسلم ،حاشية (١)،٣٠١.

(١٤)سنن أبي داود، ٥٢٤، برقم ٤٨١٠، وصححه الألباني ، في "صحيح الجامع الصغير (١/ ٥٧٨)، برقم ٣٠٠٩.

(١٥)انظر :مدارج السالكين ،٣٠٥/١.

(١٦)انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن،٥٥٤/٢٤،والبقاعي،نظم الدرر في تناسب الآي والسور،٢١٢/٢٢.

(١٧)الحديث صحيحٌ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ،رقم ٢٦٦٤.

(١٨)الحديث صحيحٌ أخرجه البخاريُّ في صحيحه –كتاب الأدب –باب الحذر من الغضب،٥٣٦/رقم ٥٧٦

(١٩)انظر: ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣٤٩٠/٣٠).

(٢٠)الحديث أورده الترمذي، في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن الرسول ،رقم ٢٤١٧،والدارمي ١٤٤/١ ،وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ،وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي.

(٢١)الحديث صحيحٌ أخرجه البخاري –كتاب الرقاق –باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ، بِرقم ٦٤١٢.

(٢٢)انظر: الطبري ،جامع البيان في تفسير آي القرآن ،(٤٥٤/٢٤–٤٥٧)،الجوزي، زاد المسير،(٢٠٦/٩).

(٢٣)انظر: الطبري ،جامع البيان في تفسير آي القرآن،(٣٦/١٤).

(٢٤)انظر :القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن،(١٤٣/٢٠).

(٢٥)انظر :تفسير القرآن العظيم،(٤٦٦/٨).

(٢٦)انظر :القول السديد في مقاصد التوحيد ، ص ١٤٠ .

(٢٧)الحديث صحيحٌ فقد أخرجهُ مسلم، في صحيحه ،كتاب الزهد والرقائق،(٣٩٧/٤ رقم ٢٩٦٢).

(٢٨)انظر: ابن حجر ،فتح الباري شرح صحيح البخاري،(٦٥٨٠ص)

(٢٩)انظر : الدمياطي، المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح،(٣٣٤)حكم المحدث ،اسناده صحيح.

(٣٠)الحديث صحيحٌ فقد أخرجهُ مسلم، في صحيحه (ص ٤٠٢، برقم ١٠٤٢).

(٣١)الحديث صحيحٌ فقد أخرجهُ مسلم، ،(ص ١١٨٨، برقم ٢٩٦١).

(٣٢)انظر: بتصرف ،الطبري ،جامع البيان في تفسير آي القرآن،(٥٥٧/٢٤)،و البغوي ،معالم التنزيل،(٥٠٩/٨)،والسعدي تفسير العزيز الرحمن في تفسير آي القرآن،(١٩٨٩/٨).

(٣٣)انظر :ابن القيم ،الصواعق المرسلة، (٤٩٢/٢)